

أضواء البيان

@ 265 @ واختلطت بالتراب ، لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من ابتداء الفعل ، وهذا البرهان القاطع على القدرة على البعث : الذي هو خلقه تعالى للخلائق المرة الأولى المذكور هنا ، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله { وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُعِيدُهُ وَهُوَ الَّذِي يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } وقوله { قُلْ يُخَبِّرُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } وقوله تعالى { كَمَا بَدَأُنَا أَزْوَاجًا خَلَقْنَا نُسًا وَآدَمًا عَلَى أَنْفُسَيْنِ } وقوله { فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } وقوله تعالى { أَفَعَيَّيْنَا بِإِلْخَالِقِ الْإِنْسَانِ وَنَحْنُ بِهِ عَادُونَ } وقوله تعالى { وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّاسَ أَلِفًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لُغَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُحْيِي الْأَمْواتِ } والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً ، وقد أوضحنا ذلك في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك في سورة البقرة ، وسورة النحل ، وغيرهما ، ولأجل قوة دلالة هذا البرهان المذكور على البعث بين جل وعلا أن من أنكر البعث فهو ناس للإيجاد الأول كقوله { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ } ، إذ لو تذكر الإيجاد الأول ، على الحقيقة ، لما أمكنه إنكار الإيجاد الثاني ، وكقوله { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ مِتَّ وَتُرْجِعُ إِلَىٰ خَلْقٍ } * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنزَّلْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْءٌ نَّاعٍ } إذ لو تذكر ذلك تذكر حقيقةً لما أنكر الخلق الثاني ، وقوله في هذه الآية الكريمة { إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْيَوْمِ } أي في شك من أن البعث الأموات ، فالرب في القرآن يراد به الشك ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { فَإِذَا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ } قد قدمنا في سورة طه : أن التحقيق في معنى خلقه للناس من تراب ، أنه خلق أباهم آدم منها ، ثم خلق منه زوجه ، ثم خلقهم منهما عن طريق التناسل ، كما قال تعالى { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا مَثَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ } ، فلما كان أصلهم الأول من تراب ، أطلق عليهم أنه خلقهم من تراب . لأن الفروع تبع للأصل . . .

وقد بينا في طه أيضاً أن قول من زعم أن معنى خلقه إياهم من تراب : أنه خلقهم من النطف ، والنطف من الأغذية ، والأغذية راجعة إلى التراب غير صحيح ، وقد بينا هناك الآيات الدالة على بطلان هذا القول . . .

وقد ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أطوار خلق الإنسان ، فبين أن ابتداء خلقه من